التحرير

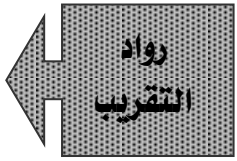

الشيخ محمد جواد مغنية*

وهاجس الوحدة والتقريب

آل مغنيّة

آل مغنيّة من الأُسر الشهيرة في بيروت التي عرفت بالعلم والفضل والأدب. وقد بزغ فيها رجال كثيرون عرفوا بالعظمة والشرف.

وتجدر الإشارة إلىّ أنّ لفظة (مغنيّة) تقرأ بضمّ الميم وبفتحها معاً.

أمّا عن وجه التسمية (بناءً على الفتح) فيعود إلى الجدّ الأعلى لهذه الأُسرة، والذي كان يعيش في القرن السادس الهجري في مدينة في الجزائر تدعى بهذا الاسم (مغنيّة)، انتقل منها فيما بعد إلى جبل عامل. ولعلّ التسمية هذه تعود إلى أسباب محلّية صرفة.

ويعدّ العلاّمة الشيخ عبدالكريم بن محمود بن محمّد بن مهدي العاملي من الوجوه البارزة التي تنتسب إلى هذه الأُسرة، عرف بالفضل،وكان عالماً جليل القدر.

جدّه الأعلى هو الشيخ مهدي الذي كان من علماء عصره ومن المعاصرين للشيخ عبدالنبي الكاظمي، من سكنة جبل عامل.

ابنه الشيخ محمّد هو الآخر يعدّ من كبار العلماء، كما أنّ حفيده أيضاً من العلماء البارزين في تلك المنطقة.

× – مقتطف من كتاب «الشيخ محمد جواد مغنية» سلسلة رواد التقريب ٧ منشورات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

والده

والد الشيخ محمّد جواد مغنيّة ـ ويدعى الشيخ محمود مغنيّة ـ من علماء لبنان البارزين. ولد عام ١٢٨٩ هـ في النجف الأشرف، ورحل مع أبيه إلى جبل عامل حيث نشأ وترعرع هناك. درس المقدّمات والفقه والأُصول، ثمّ قفل راجعاً إلى النجف الأشرف؛ لينتهل من معين علماء عصره، من قبيل: المحقّق النائيني، والمحقّق الأصفهاني، والمحقّق ضياء الدين العراقي. بعد ذلك عاد إلى لبنان وأقام في قرية تدعى «معرة»، واشتغل بالتأليف وإرشاد الناس.

الولادة

في عام ١٩٠٤م ولد الشيخ مغنية في قرية «طيردبا» من قضاء صور لبنان، فاختار له أبوه اسم محمّد جواد.

يؤكّد علم النفس الحديث على أنّ أكثر النوابغ والمصلحين والمفكّرين الكبار والقادة السياسيّين تحمّلوا الكثير من المصاعب والمشاقّ في حياتهم. وكان محمّد جواد واحداً من هؤلاء، حيث حرمته يد المنون حنان أُمّه العلوية وهو دون سن الرابعة من عمره، فأضحى والده العالم العامل سنده وأمله في الحياة. وفي سن العاشرة فجعه الدهر للمرّة الثانية برحيل ذلك الوالد.

نعم، لقد كان لوفاة الأب والأُمّ والأحداث المؤلمة التي توالت بعد ذلك وقعاً كبيراً على قلب محمّد جواد بحيث عانى منه الكثير.

بعد دخوله العراق استقرّ الشيخ في النجف، واشتغل بتحصيل العلوم الدينية في حوزة النجف العريقة بتراثها الديني والعلمي. فاشتغل بدراسة الصرف والنحو والمنطق وغيرها من الدروس، وأتمّ دراسة كتاب «قطر الندى» على يد أخيه، كما أعاد دراسة كتاب «الآجرومية» للمرّة الثانية على يد السيّد محمّد سعيد فضل الله. وفي هذا المضمار أفاد كثيراً من علماء جبل عامل المقيمين في النجف.

وبعد إكماله المقدّمات حضر عند كلّ من المراجع العظام: السيّد حسين الحمّامي، والسيّد الخوئي، وآية الله محمّد حسين الكربلائي.

وفاة أخيه

بقي محمّد جواد مدّة أحد عشر عاماً مكبّاً على طلب العلم ومتحمّلاً جميع المشاقّ والصعوبات التي كان عموم طلاّب العلم يواجهونها آنذاك، حتّى تناهى إليه خبر وفاة أخيه الأكبر، والذي كان يؤدّي مهمّة الدعوة والإرشاد في قرية «معركة»، فاضطرّ إلى أن يغادر النجف باتّجاه وطنه لبنان.

بعد الفراغ من مراسيم التشييع والدفن، طلب أهالي المنطقة من الشيخ محمّد جواد أن يحلّ محلّ أخيه ويتقبّل مسؤولية إمامة الجماعة في تلك المنطقة. ولم يجد بداً من الاستجابة لطلبهم، فراح يدرّس القرآن والدروس الدينية، ويلقي عليهم المواعظ والإرشادات إلى جانب إقامته لصلاة الجماعة.

ثم هاجر إلى قرية «طير حرفا» في عام ١٣٥٨ هـ ق بعد مدّة قضاها في قرية «معركة» استمرّت قرابة ثلاث سنوات. وهناك اشتغل بالزراعة من أجل تحسين وضعه الاقتصادي، وإلى جانب اشتغاله بالزراعة راح الشيخ يستأنف مشواره في طلب العلم والتحقيق وقراءة الكتب، فكان يقصد منطقة تدعى «وادي السروة» في جنوبي طيرحرفا، وهو واد سحيق يضيق وينفرج ويتعرّج، كثير الصخور، كثيف الأشجار، وهناك كانت تقوم صخرة ترتفع عن قعر الوادي إلى مائة متر، يعلوها سقف من أغصان الأشجار النضرة، ولا يشقّ هدوءها الرائع سوى زقرقة العصافير وهديل الحمائم.

لقد وجد مغنيّة في هذا المكان أفضل مكان للقراءة والتحقيق، ولذا أسماه ـ أي: المكان ـ «غرفة القراءة»، فكان يصطحب معه قلمه وأوراقه وبعض الكتب وإبريق الشاي، يقرأ ويفكّر ويكتب.

في هذا المقطع من عمره قرأ مغنيّة لنيتشه، وشوبنهاور، وتولستوي، والعقّاد، وطه حسين. وتوفيق الحكيم. وإلى جانب مطالعاته شرع في الكتابة والتأليف، فكتب خلال ارتياده هذا المكان عدّة كتب هي: «الكميت، دعبل، الوضع الحاضر في جبل عامل، والتضحية».

قضى محمّد جواد مغنيّة حوالي ١٠ سنوات من عمره في تلك المنطقة، حتّى رحل عنها إلى بيروت عام ١٣٦٧ هـ.

في مسند القضاء

في عام ١٩٤٨ م هاجر الشيخ محمّد جواد مغنيّة من منطقة «طيرحرفا» إلى بيروت، وهناك اقترح عليه أن يشغل منصب القضاء في المحكمة الجعفرية العليا ببيروت، فقبل الاقتراح بهدف خدمة المحرومين والمستضعفين من أبناء شعبه.

وبعد عام ١٩٤٩ م عيّن مستشاراً في المحكمة الجعفرية العليا، وفي عام ١٩٥١ م تسنّم منصب رئاسة المحكمة.

بقي الشيخ في منصبه هذا حتّى عام ١٩٥٦ م، وخلال هذه المدّة قام بخدمات كثيرة. بعد ذلك أُوكل منصب رئاسة المحكمة إلى غيره، وبقي مستشاراً للمحكمة حتّى عام ١٩٦٨ م.

لم يدخل مغنيّة عالم الرئاسة والمناصب طمعاً بالدنيا وحطامها، بل كان ينشد في ذلك خدمة الناس وتطبيق العدالة.

في عام ١٩٥٦ م طلب أحد المسؤولين اللبنانيّين من مغنيّة أن يصدر حكماً قضائياً وفقاً لما يريده هو، حتّى قال له فيما قال: «استجب لطلبي، فإنّي سأُثبّتك في الرئاسة»، فامتنع الشيخ عن ذلك قائلاً له: «إنّي أهتمّ أوّلاً بتثبيت ديني قبل تثبيتي في الوظيفة. أمّا الكرسي فظلّ زائل».

بعد هذه الحادثة ـ تحديداً في عام ١٩٦٨ م ـ اعتزل مغنيّة عن جميع مسؤولياته، واشتغل بالبحث والتأليف.

الوحدة والتقريب

يقول الراحل الشيخ محمّد مهدي شمس الدين في حديث له عن الشيخ مغنيّة: «كان هاجس الشيخ محمّد جواد مغنيّة في سني الفتنة هذه التي تجرر فينا ونجرر فيها، كان هاجسه الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية والجنوب».

لقد بذل الشيخ محمّد جواد مغنيّة جهوداً حثيثة في سبيل تحكيم الوحدة الإسلامية. حيث كان يستغلّ كلّ فرصة للانفتاح على علماء أهل السنّة والتحاور معهم، في خصوص الوحدة، وما هي السبل والآليات التي تكفل تحقيقها على أرض الواقع.

في عام ١٩٦٠م التقى بالشيخ محمّد أبي زهرة بدمشق. وفي عام ١٩٧٠م زاره

الدكتور مصطفى محمود. كما كانت له لقاءات مع كلّ من الشيخ الفحّام فقيه الأزهر، والشيخ الشرباصي. وفي مدينة قم استضاف الشيخ الحصري.

في عام ١٣٨٢ هـ المصادف لسنة ١٩٦٣م سافر الشيخ محمّد جواد مغنيّة إلى مصر وزار كلاًّ من جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس، كما زار مؤسّسة دار الكتب.

بعد ذلك التقى بشيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، ودار بينهما حديث حول الوحدة الإسلامية والسبل الكفيلة بتحقيقها.

تجدر الإشارة إلى أنّ علاقة الشيخ مغنيّة بالشيخ شلتوت تعود إلى عام ١٣٦٨ هـ، ويعدّ الشيخ شلتوت من مؤسّسي دار التقريب بين المذاهب ومن الدعاة إلى الوحدة الإسلامية.

مرجعية أهل البيت (ع) العلمية

يرى الشيخ مغنيّة في مرجعية أهل البيت العلمية أنّها المصدر الأساس الذي لابدّ من الرجوع إليه والمنهل العذب الذي لابدّ من الانتهال من معينه. ولذا نجده يطرق بابهم ويحتكم إليهم في كلّ كتبه وما أُثر عنه.

يعتقد الشيخ مغنيّة بل يقسم أنّه قرأ مختلف الكتب، وطالع الآراء قديمها وجديدها، شرقها وغربها، فتوصّل إلى أنّ كلّ ما يفيد الناس موجود بشكل أكمل وأفضل في التراث الإسلامي، لا سيّما تراث أهل البيت، وبالأخصّ في كلمات الإمام علي ونجله الإمام الصادق (عليهما السلام).

للشيخ مغنيّة عُلقة خاصّة بالإمام سيّد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام)، فلم يغرّه ما قدّم من مؤلّفات ومقالات وخطب ومواقف على كثرتها ونزاهتها، بل بقي دائماً يتوجّس ساعة الحساب بين يدي الله سبحانه.. وهل للنجاة من محنة ذلك الموقف المهيب وأن لا تنقلب أعمال الإنسان عليه حسرات خير من سفينة الحسين سيّد الشهداء؟ كلاّ، والله!

ممّا لا شكّ فيه أنّ الكاتب الذي يعتمد في كتابته على التراث الأصيل والمصادر الأُمّ وبمقدوره أن يعيد صياغة ما ورد في التراث بلغة عصرية وبيان ساحر، سيحتلّ مكانة

مرموقة لدى أبناء مجتمعه. ولا ريب أنّ أحد أسباب النجاح الكبير الذي أحرزه الشيخ محمّد جواد مغنيّة في مجال الكتابة والتأليف يكمن في مطالعاته المعمّقة والواسعة، حيث كان دائم القراءة.

يقول عن نفسه: «أُحبّ أن أقرأ كثيراً وأكتب قليلاً، بل لا أُحب أن أكتب إلاّ إذا لم أجد مفراً من الكتابة، أي: عندما أحسّ في نفسي شيئاً لا يدعني أهدأ وأستقرّ حتّى أعلنه للناس.. إنّي أتعطّش إلى القراءة والمطالعة، وأودّ أن أشغل وقتي كلّه فيها ليل نهار».

نعم، لقد كان يرى في المطالعة والكتابة شغله الأساس. في بعض الأحيان يكتفي من النوم بأربع ساعات فقط في اليوم والليلة؛ ليوفّر ساعات أكبر للقراءة والتحقيق. وربّما انهمك في الكتابة بشكل متواصل مدّة ٤٨ ساعة بلا نوم.

مؤلّفاته

له اكثر من خمسين مؤلفاً نذكر أهمها:

١ ـ الوضع الحاضر في جبل عامل.

٢ ـ الفصول الشرعيّة على مذهب الإماميّة.

٣ ـ الإسلام مع الحياة.

ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام: القسم الأوّل يُعنى بالتوحيد والمعاد وحقّ الله والعباد، وفي القسم الثاني يتعرّض المؤلّف إلى بحث جملة من القضايا الاجتماعية من منظور الإسلام، وأمّا القسم الثالث فقد خصّص لبحث الشريعة الإسلامية وخصائصها ومميّزاتها، وأمّا القسم الرابع فذكر فيه المؤلّف مواضيع شتّى ترتبط بعضها بأبناء العلماء فيما يحمل البعض الآخر منها عناوين أُخرى.

٤- الإسلام والعقل

٥- الفقه على المذاهب الخمسة

٦ ـ إمامة علي والعقل.

٧- تجارب محمد جواد مغنية بقلمه.

٨ ـ فقه الإمام جعفر الصادق(ع) عرضاً واستدلالاً.

يقع هذا الكتاب في ستّة أجزاء وثلاثة مجلّدات.

٩ ـ التفسير الكاشف.

يقع هذه التفسير في سبعة مجلّدات.

١٠ ـ معالم الفلسفة الإسلاميّة.

١١ ـ علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد.

١٢ ـ الخميني والدولة الإسلاميّة.

| طبع هذا الكتاب عام ١٩٧٩م في ١٨٤ صفحة من قبل دار العلم للملايين في بيروت.

الكتاب يتعرّض لبيان الآراء والمتبنّيات الفقهيّة للشيخ مغنيّة، وهي بحقّ جديرة بالدراسة والتأمّل. في هذا الكتاب يسجّل شدّة تفاعله في الدفاع عن الثورة الإسلامية في إيران، ويبيّن بصراحة تامّة موقفه الداعم والمؤيّد لزعيم الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني (قدس سره) وشدّة اعتزازه به.

في مواجهة الصهيونيّة

أدرك الشيخ مغنيّة في وقت مبكّر من عمره الشريف ـ وذلك بما أُوتي من عقل ودراية ومن خلال دراسته لكتاب الله العزيز وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ ماهية الكيان الصهيوني الخبيثة. ولذا تجده في أغلب كتاباته التي يتحدّث فيها عن الاستكبار يتهجّم على إسرائيل أيضاً، ويرى في أمريكا المدافع الأوّل عن هذا الكيان المجرم، بل يعدّه صنيعته.

وهنا نشير إلى مقاطع ممّا كتبه الشيخ مغنيّة عن خصوص الاستكبار والكيان الصهيوني:

إله إسرائيل صهيوني

الحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية يتّسع لأكثر من مجلّد... ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن إله إسرائيل وحقيقته ومهمّته كما هو في الديانة اليهودية... وتورد التوراة فيما تورد عن هذا الامتياز في سفر يشوع / الإصحاح: ٦ / فقرة: ٢٤ خطاباً مع بني إسرائيل: «احرقوا المدينة مع كلّ ما بها.. إنّما الفضّة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الربّ». وفي سفر التثنية / الإصحاح: ١٤: «قد اختارك الربّ كي تكوّن له شعباً خاصّاً فوق الشعوب على وجه الأرض». وفي سفر العدد / الإصحاح: ٣١ / الفقرة: ١٢: «خذوا كلّ الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم». وفوق ذلك أنّ الله تصارع مع يعقوب بالليل بطوله، فعجز عنه بل عجز عن التخلّص والفرار منه! وبالتالي لم يجد الربّ بدّاً من الرجاء والتوسّل إلى يعقوب كي يمنّ عليه بالإطلاق... فقال له يعقوب: «لا أُطلقك إن لم تباركني»! فباركه الربّ وسمّاه إسرائيل. ومعنى إسرائيل في العبرية: القوّة ضدّ الله، كما نقل العارفون بهذه اللغة. تشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة إلى أنّ اليهودي لا غالب له، حتّى الله يعجز عنه! وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنصّ بيّن واضح في الآية (٦٤) من سورة المائدة: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)».

وفي نص آخر يكشف الشيخ مغنيّة عن الوجه الحقيقي لليهود وما ينطوون عليه من عنصرية مقيتة، حيث يقول: «لليهود ـ بوجه العموم ـ عقيدة عنصرية تعتبر أنّهم شعب الله المختار، وأنّ غيرهم من الناس مسخّر لخدمتهم ومصالحهم، وأنّ لليهودي كلّ الحقّ في أن يمتلك أيّ إنسان في الشرق والغرب، ويفعل به ما يشاء، تماماً كما يمتلك الحيوان.. وعلى هذا نصّت التوراة بوضوح وصراحة في سفر التثنية / الإصحاح: ٧، وسفر العدد/ الإصحاح: ٣١. أمّا كتاب التلمود فيقول: «نحن شعب الله المختار نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدوابّ والنعام والطير، ونوع الحيوان الإنساني، وهم سائر الأُمم من الشرق والغرب».

وفي مقال له آخر يلقي الشيخ مغنيّة باللوم الشديد على المسلمين؛ لضعفهم وعجزهم تجاه إسرائيل وعنجهيتها، على كثرة عددهم وامتلاكهم لثروات هائلة ومصادر ضخمة بما فيها النفط، حيث يقول: «كلّ هذه القدرات والإمكانات متوفّرة

لدى المسلمين، ولا أثر للمسلمين على أيّ مستوى يذكر! اللهمّ، إلاّ مؤتمرات وصرخات لا شي وراءها إلاّ الشماتة والفضيحة! وأيّ عار على العرب والمسلمين أشدّ وأعظم من هوانهم على إسرائيل؟! أبداً كلّما عقدوا مؤتمراً تمادت إسرائيل في الغي والتوسّع، وكلّما رفعوا صوتاً استهانت بهم وبكلّ حقّ وشرعية، ولا سرّ إلاّ الأوضاع الفاسدة السائدة».

في مواجهة أمريكا

كان للنهج الجهادي الذي اختطّه الشيخ مغنيّة ضدّ أمريكا بالغ الأثر لدى عموم الناس بدرجة أنّه أثار حفيظة الأمريكان، وحمل السفارة الأمريكية على أن ترسل له التهديدات وتحذّره من مغبّة تلك المواقف البطولية ضدّها، حتّى أنّهم طلبوا منه أن يلتقي روزفلت، فقال لمن طلب منه ذلك بالحرف الواحد: «اسمع يا هذا، إنّ أميركا ألدّ عدوّة للإسلام والأُمّة العربية، أميركا أوجدت إسرائيل، وقتلت شعبنا في فلسطين، وشرّدته من دياره. إنّ دماء أبنائنا ما زالت تنزف في دير ياسين وعلى أرض فلسطين، وأُخوتنا يقتلون بسلاح أميركا الذي تغدقه على إسرائيل... وبعد هذا تدعوني إلى زيارة الأُسطول السادس!».

وقد كان لهذا الموقف الشجاع والغيور صدى كبير بين الأوساط الشعبية، حتّى أنّ صحيفة «المحرّر» مجّدت موقفه هذا بأن وصفت الشيخ بقولها: «هذا عربي عزيز».

مغنيّة والإمام الخميني

انّ الشيخ مغنيّة كان من المحبّين للإمام الراحل (قدّس الله سرّه الشريف)، وأنّه يترسّم نفس المنهج والخطّ الفكري والسياسي الذي عليه الإمام الخميني، حيث كتب عن الثورة الإسلامية والدولة الإسلامية ـ والتي نادى بها الإمام الخميني ومن ثمّ شيّدها بنفسه الزكية ـ ما هذا نصّه:

«وصدع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمره تعالى، وأسّس دولة السلام والمحبّة والرحمة والإنسانية، وانتشلت ملايين المعذّبين في الأرض من رعايا

الإمبراطورية الرومانية المسيحية والإمبراطورية الفارسية المجوسية، ورحّب الكثير منهم بالإسلام والمسلمين؛ ليتحرّروا من ظلم القادة وطغيانهم، وينعموا في ظلّ العدل والرحمة. هذه هي دولة الإسلام التي يدعو إليها الإمام الخميني، ولأنّها رحمة للعالمين المسلمين وغير المسلمين يحاربها المستعمرون والصهاينة وأذنابهم الأدعياء والعملاء. ولكن الإيمان الحقّ الذي ليس بسلعة تباع وتشترى وتعار أقوى من كلّ سلاح ومن دول الضلال وأحزابه... وليست هذه فورة عاطفية، بل عين الواقع، والشاهد تاج الشاه الذي تحصّن بالمال والرجال وأسلحة الدمار ودول الشرق والغرب، ومع ذلك تحطّم على صخرة دين الخميني وإيمانه وعزم أنصاره وأعوانه في سرعة كأنّها لغز من ألغاز القرن العشرين.. وأخيراً هذه النبوءة التي جاءت في الجزء الثاني من كتاب «سفينة البحار» ص٤٤٦ طبعة سنة ١٩٣٦م نقلاً عن مصادر مضى عليها العديد من القرون، وهذا نصّها: «يخرج رجل من قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تُزِلهم العواصف، ولا يملّون، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتّقين». وهذا الوصف أصدق وألصق بالإمام الخميني وقومه، حيث أمضى معظم حياته في مدينة قم درساً وتدريساً، وفيها أعلن الثورة على الشاه، ومنها نفي. أمّا دعوته فهي دعوة الحقّ والعدل التي يستجيب لها كلّ محقّ ومخلص، ويرهبها كلّ مبطل وآثمّ، والله ولي المتّقين».

ويصف الثورة الإسلامية في موضع آخر، فيقول: «لقد أحدثت الثورة الإسلامية بإيران صدمة عنيفة لأعداء الإنسانية والإسلام».

وفاته

بعد عمر قضاه الشيخ مغنيّة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام العزيز، وجهود خيّرة في سبيل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وفي الساعة العاشرة في ليلة التاسع عشر من محرّم الحرام لعام ١٤٠٠ هـ ق، وعن عمر ناهز السادسة والسبعين، انتقلت روح هذا الرجل العظيم إلى الرفيق الأعلى أثر مرض قلبي لازمه مدة عامين.